

إهداء

إلى هذه الكوكبة من كبار فرسان الثقافة العلمية والفكر المستنير
(بأبجدية الأسماء، وجميعهم ذوو مقام أعظم فى النفس والواقع
الحضارى ..

د. أحمد شوقى .. د. أحمد مستجير .. د. مصطفى فهمى ..

فكم شملونى بالتشجيع والمودة،

ى.ط

obbeikandi.com

هي الثالثة في مشروع «الكراسات»، الذي تصدره «المكتبة الأكاديمية». والكراسات تعنى بمحورين كبيرين: العلم والمستقبل. لذلك فقد حملت السلسلة الأولى عنوان «كراسات مستقبلية»، وقد بدأ ظهورها عام ١٩٩٧، وفي عام ١٩٩٨ ظهرت السلسلة الثانية تحت اسم «كراسات علمية». وقد فكرنا في البداية أن تضم السلسلتان، بجانب التأليف والترجمة، عروضاً مطولة لبعض الإصدارات المهمة، التي لا تلاحقها حركة الترجمة. إلا أن أنشط أعضاء هذه الكراسات، وللكراسات أسرة ممتدة ترحب دائماً بالأعضاء الجدد، أقول إن أنشط الأعضاء الصديق الدكتور محمد رؤوف حامد، الأستاذ بهيئة الرقابة الدوائية، اقترح أن تصدر العروض في سلسلة خاصة بها. وقد كان اقتراحاً موفقاً كما أرجو أن يوافقني القارئ.

والكتب المختارة للعرض في السلسلة لا تأتي فقط من اقتراحات هيئة التحرير، حيث قدم أعضاء الأسرة مقترحاتهم التي حظيت بالترحيب. والباب مفتوح لكل من يرغب في المشاركة. وإذا كانت السلسلة قد بدأت بمجموعة من الكتب الصادرة بالإنجليزية، فإننا نطمح أن تشمل العروض القادمة كتباً تصدر في لغات أخرى، لاشتملها عادة خطط الترجمة كاليابانية والروسية والصينية، بالإضافة إلى الفرنسية والألمانية. فرغم أن الأخيرتين أكثر حظاً نسبياً، إلا أن كم المترجم والمعرض لا يقارن بما يتم بالنسبة للإنجليزية.

والحديث عن «العروض» يذكرنا بالجهود السابقة، التي لانكرها، بل نحاول أن نكمل مسيرتها، بالنسبة للمجالات التي تهتمها. كما أن العروض المتوسطة، التي أصدرتها هيئة الكتاب في التسعينات، ضمن سلسلة «تراث الإنسانية» لا يمكن إغفالها. وهما مثالان يقصد بهما الاعتراف بفضل سبق، دون أن ندعى الحصر. وإن كنا في الوقت نفسه، نظن أن السلسلة الحالية هي الأولى التي تعنى بالعرض التفصيلي للكتب.

تتناول كتاباً متميزاً في موضوعه، حيث يحاول مؤلفه، بعد عطاء طويل في علم الفيزياء، أن ينطلق إلى السياق الإنساني الأكثر رحابة، بما يتضمنه من أعاد أخلاقية ورؤية روحية ومسؤولية تتجاوز الحاضر إلى المستقبل. هي رحلة إلى ما وراء العلم، كما يصفها المؤلف وهي من هذا المنطلق قد تكون مقبولة بشدة عند البعض، وقد تكون موضع خلاف عند البعض الآخر. وفي الحالتين، يستحق

الأمر استعراضها، والتوقف عند مختلف محطاتها. وهنا يأتي دور عارض الكتاب، وخلفيته الثقافية.

لقد كان من حظ الكتاب، والسلسلة عموماً، أن تنضم الدكتوراة يُمنى طريف الخولى إلى أسرة الكراسات، ويكون عرضه أولى مساهمتها. وعند صدور العرض ستكون الدكتور يمى من أحدث وأنشط أساتذة فلسفة العلم فى الوطن العربى عموماً، وليس فقط فى قسم الفلسفة بآداب القاهرة. ولتميزها، تم اختيارها عضواً بلجنة الفلسفة بالمجلس الأعلى للثقافة. وكيف لا، وقد ألفت سبعة كتب (فلسفة كارل بوبر- العلم والاعتراب والحرية- الحرية الإنسانية والعلم- مشكلة العلوم الإنسانية- الطبيعيات فى علم الكلام- بحوث فى تاريخ العلوم عند العرب- الوجودية الدينية)، وحصدت الكثير من الجوائز العربية والمحلية. مرحباً بالدكتوراة يمى وبإسهاماتها، وتهنئة للأستاذية بمثلها!!!

أحمد شوقى

أبريل ١٩٩٩م

المحتويات

الصفحة

- هذا الكتاب .. ومؤلفه ..
- ١- العلم وحده لا يكفي ..
 - ٢- فهم العالم الفيزيقي ..
 - ٣- أن نعمل معاً ..
 - ٤- ذكريات عن العظماء ..
 - ٥- ماذا حدث للعقل الإنساني؟ ..
 - ٦- ماذا يعني هذا...؟ ..
 - ٧- التساؤلات القصوى ..
 - ٨- ماهو كائن وما ينبغي أن يكون وهذه الأعجوبة ..
 - ٩- السلوك المستول ..

الكتاب ومؤلفه

بينما يشيع فى أذهان العامة أن النظره العلميه هى النظره الماديه الخالصه التى تولى ظهرها تماماً لكل اعتبارات القيمه وماينبغى أن يكون وتنكر أى وجود مفارق للطبيعاه، حتى أن العلم قد يكون قريباً للإلحاد والنظره اللإنسانيه... يفاجئنا هذا الكتاب الرائع والفريد حقاً بمنظور رحيب متميز، لتتبدى أمامنا صوره مؤداها أن العلم عمومأ وعلم الفيزياء النوويه وفيزياء الجسيمات الأوليه خصوصأ يمكنه أن يجعل العالم أكثر إنسانيه وحيويه، أكثر خصوبه وثناءً. فضلاً عن استناد الكاتب إلى خبره شخصيه حميمه بمجتمع البحث العلمى؛ ليصور لنا عالم العلم بوصفه منشطأ لأفراد يمارسون إياه داخل مجتمع هائج مائج متقد الحويه، يحكمه البحث عن الصدق والقضايا الأكثر صدقأ؛ فعالم البحث العلمى هو عالم إنسانى تماماً زاخر بصراعات البشر وعلاقاتهم الحميمه.. بإحباطاتهم وانتصاراتهم، بأحلامهم وطموحاتهم وأمانيتهم. إن العلم عالم مفعم بالقيم وبالجمال وبالمعاني المتعاليه والمبادئ الساميه، بل ويمكن أن يكون الإثبات الحق لوجود الله وخلود النفس!! وأمثال هذه المقولات الكبرى والقصيه فى أفق الإنسانيه الرحيب. وإذا جعلنا العلم مطيه لإهدارها، فذلكم هو الخطيئه الفادحه والخسران المبين - خسران إنسانيه الإنسان!

لاشك أن العلم حقق نجاحاً فذاً، مرموقاً ومشهوداً، فى استكشاف بنيه العالم المادى الفيزيقي وتاريخه؛ ومع ذلك فإن التجربه المعملية والحسابات الرياضيه وذلك النمط الرافى من الخبرات المعرفيه الموضوعيه.. ليست هى كل شىء. وفى مواجهه الإنسان للواقع لايزال ثمة الكثير الذى يمكن استكشافه مستضيئين بالبحث العلمى، بما فى ذلك استكشاف طبيعه البحث العلمى ذاته.

وبأسلوب راقٍ بليغ حافل بالصور الجماليه والاستعارات البارعه والتعبيرات النافذه وأحياناً اللاذعه، يحاول هذا الكتاب استكشاف السياق الإنسانى الذى يجرى العلم فى إطاره، والتفهم الأرحب الذى نسعى جميعاً إليه. إنه يبحث المعانى والقيم المتوشجه فى صميم الممارسات العلميه، لكن جرت الطقوس العلميه على استبعادها وإنكارها! كما أنه يحاول استبصار الطريق الواعى المسئول لاستغلال القوه الجباره التى يهبنا العلم إياها.

إنه يبحث عن مبدأ إنسانى يضىف السمه الإنسانيه على العلم وعالمه وعلى الكون بأسره. هذه الأنسنه مبحث «بعد - علمى»، يبحث فى عالم العلم لكنه يتجاوز قدرات العلم ومايستطيع أن يخبرنا به، بحيث يحق القول إن هذا الكتاب ينتقل من الفيزيكا

إلى الميتافيزيقا. ولاغرو أن يرصعه الكاتب بمعتقداته الإيمانية. وبعد رحلة علمية بمعنى الكلمة، تغوص في دهاليز عالم العلم ومنعطفات الجسيمات الذرية وترددات الإشعاع، فضلاً عن دهاليز فلسفة العلم وسواها من منحنيات لايجرؤ على الاقتراب منها إلا العتاه من جبابرة العقول... يجعل كل هذا تأكيداً وتوطيداً وتدعيماً لمعتقدات علوية ودينية.

إن مؤلف هذا الكتاب، جون بولكين هورن قد تبوأ منزلة عالية كعالم في فيزياء الجسيمات الأولية. وكان أستاذاً للفيزياء الرياضية في جامعة كمبردج العريقة فيما بين عامي ١٩٦٨ : ١٩٧٩. وفي عام ١٩٧٤ اختير عضواً في الجمعية الملكية للعلوم التي تضم جهايزة العلماء. وفي عام ١٩٨٢ تم ترسيمه قسيساً في الكنيسة الإنجيلية البروتستانتية. وأصبح رئيساً لكلية كوينز بجامعة كمبردج منذ عام ١٩٨٩. وهو جيد الاستيعاب للفلسفة عموماً وفلسفة العلم خصوصاً. وتدور أعماله حول استكشاف المقولات الكبرى في قطبين جرى العرف على أنهما متنافران أو على الأقل متباينان، ألا وهما: أولاً العلم الفيزيائي، وثانياً المعتقدات الدينية والرؤى اللاهوتية التي تنحو نحو الاتجاه البروتستانتى المستنير، وأهم أعماله «لعبة الجسيم الذرى - ١٩٧٩» و«عالم الكوانتم - ١٩٨٤» و«العلم والعقيدة المسيحية - ١٩٩٤».

وهكذا نجد العالم القس جون بولكين هورن قد مارس العمل طويلاً كعالم فيزيائي، وأنصت باهتمام لما يمكن أن يخبرنا به العلم، لكنه بز أقرانه باضطلاعهم بمهمة أخرى أصعب مراساً وأطول باعاً يؤكد عليها تأكيداً، ألا وهى أنه إنسان، فكان راغباً فى جعل الرؤى العلمية تتوشح فى صميم السياق الأرحب والأكثر ثراءً وزخماً وحيوية، سياق التجربة الجميمة. وكان هذا الكتاب لينظر فيما وراء العلم إلى السياق الإنسانى الأرحب، معنياً بالفردية وبالمجتمع، بالمعنى وبالقيمة وبمنطلقات الفعل الحر المسئول. وهو فى هذا يشق طريقاً وسطاً بين الإفراط فى تقدير قيمة العلم وتمجيده واعتباره النمط الوحيد للمعرفة التى يمكن أن يوثق بها، وبين النظريات البائسة التى تحاول عبثاً أن تغض الطرف عن قيمة العلم، أو أن تحط من شأنه.